

اهداف الفكرة العربية

تستهدف الفكرة العربية الحديثة قيام كيان عربي قومي عام ، يضم مختلف الاقطار العربية ، موحد الشعور والثقافة والأهداف والمصالح والجهاز السياسي والاقتصادي والعسكري ، ويكون من القوة بحيث يضمن للأمة العربية الحرية والكرامة والسيادة ، والوصول الى مصاف الأمم القوية الراقية الحية ، وتبوؤ المركز اللائق بخصائصها واجادها وما تشغله من حيز جغرافي عظيم في ساحته وموقعه و ثرواته ، ونفوذ معنوي قوي في مختلف انحاء الأرض .

اصلية الفكرة

والفكرة القومية ليست طارئة على العرب من حيث متناولها العام ، فالتاريخ العربي قد امتلأ بالشواهد على أنها كانت بارزة في كثير من الادوار والمشاهد والمراحل العربية في حقب التاريخ الاولى ، وقبل الاسلام وبعده ، وفي مختلف انحاء الأرض التي قدر للعرب أن يلعبوا دوراً فوق مسارحها . غير أن شعلتها قد انطفأت أو همدت فيهم بسبب ما طرأ عليهم من أحداث هدمت سلطانهم ، وقوضت بنيانهم ، وازعفت فيهم الشعور القومي ، وجعلتهم يرضخون للسلطات والعناصر غير العربية ويستسيغون ذلك لاتحادهم معها بوحدة الدين ، ويرون في الخلافة الاسلامية التي كانت تتمثل اخيراً في السلاطين العثمانيين عزاء ورضاءً يطمئنان شعورهم الديني الذي ساد شعورهم القومي بعد تلك الاحداث .

ولذلك تعتبر بقطتها في العرب بعثاً جديداً وقد جاءت من الغرب الى الشرق في ما جاء من افكار وتيارات . وقد كانت الفكرة القومية في ثوبها الجديد الذي يستهدف إنشاء كيان قومي موحد ، تنسكب فيه الكتل التي تمت الى اصل واحد أو تقطن بلاداً واحدة وتتكلم بلغة واحدة وتشارك في المصالح والاهداف قد انبتت في اوروبا في القرون الاسبوية ، وعقب دور النهضة والحركة الاصلاحية الدينية ، بعد ان ارتكست هذه القارة في ظلمات الحكم الاقطاعي والمنازعات الدينية والوراثية والسياسية وحروبها امداً طويلاً .

فان النهضة والحركة الاصلاحية معاً انتجتا فيها حركة قومية تستهدف قيام كيانات قومية تقوم مقام الكيانات المرفعة القائمة فيها ، وتتألف كما قلنا من الكتل المتحددة في اللغة والموطن والمصالح ، فكان من ذلك القضايا القومية الاوروبية المعروفة ، وسرت الى الشرق في اواخر العصر الفاتت فكان بما كان القضية القومية التركية والقضية القومية العربية .

- ٢ -

عناصر القضية العربية وقوتها

وبعث الفكرة العربية من جديد لا يعني نشوء عناصرها من جديد كما هو بديهي فالقضية القومية العربية احتوت في الحق عناصر القضايا القومية ، بل ان هذه العناصر فيها اقوى من الوجهة النظرية منها في كثير من القضايا القومية الحديثة وخاصة الاوروبية . فالفكرة القومية الحديثة قامت على اساس وحدة اللغة والموطن والعواطف والتاريخ والمصلحة ، غير ان هذه الوحدة في كثير من القضايا القومية الاوروبية حينما اخذت تنتشر هذه الفكرة فيها لم تكن من القوة والعمق بحيث يصح ان تكون هذه القضايا بديهي بها كما هو الامر في القضية العربية .

فالوطن العربي الحاضر هو نفسه منبت أو موطن الجنس العربي ومهاجر موجاته

التاريخية التي خرجت من الجزيرة العربية منبت الجنس العربي الاصيل منذ الأزمنة العريقة في القدم ، والتي سميت بالموجات السامية تحكما (١)

والدم العربي الاصيل ما يزال حياً متشكلاً الى الآن في جزيرة العرب التي يتصل سكانها بسائر سكان مواطن العرب الاخرى اتصالاً وثيقاً ، والتي ظلت وما تزال تقدم من آن لآخر بحيويتها المستمرة ، وموجاتها الكبرى والصغرى الدائمة والتي تشمل في القبائل الكثيرة المنتشرة في بلاد العراق والشام ومصر والمغرب فضلاً عن جزيرة العرب كلها ، ابتلعت القرى والمدن فريقياً حل محله فريق آخر بما لا يكاد يكون له نظير وبالنسبة للأمم الغربية بنوع خاص .

وهذا الوطن العربي متصل بعضه ببعض اتصالاً غير منقطع بأي قاطع جنسي آخر . واللغة العربية اليوم هي نفس اللغة العربية منذ الف وخمسة سنة على الأقل (٢) في مميزات وقواعدها وأساليبها ومفرداتها وادبها وشعرها وامثالها ، بقطع النظر عن اختلاف اللهجات العامية المحلية التي تتوارى في الكتابة والقراءة والثقافة والتعليم ، والتي هي بسبيل التواري في المخاطبة أيضاً بنسبة تعميم التعليم .

وطابع العروبة الصريح باسمها ولغتها وخصائصها قد أخذ يطبع هذا الوطن - أصله ومهاجره - بلونه منذ الف وخمسة عام على الأقل ، حيث أخذت تنشئ الموجة العربية الصريحة قبل الموجة الاسلامية الكبرى - وهي الموجة التي يمكن ان تسمى بموجة سيل العرم - الدول والمدن والقرى والبادي في العراق والشام وسيناء ؛ وحيث اخذت القبائل العربية الصريحة تغدو وتروح في هذه الارحاء ؛ ثم استقر كذلك خالداً خلود التقديس الى الآن والى ما شاء الله بالموجة الاسلامية العربية الكبرى وقد شملت هذه الموجة شمال افريقية - مصر وبلاد المغرب - وطبعتها بطابع العروبة الخالد ، فأصبح الوطن العربي يمتد منذ الفتوحات الاسلامية الأولى

(١) نغني ان هذه التسمية غير قائمة على اساس تاريخي وثيق . فهي مستندة الى النظرية التوراتية التي تقر ان سام بن نوح هو ابو الأقسام التي عاشت في جزيرة العرب وأطرافها . والتسمية الحقيقية أو الأقرب للحقيقة التي يجب ان تسمى بها الموجات هي « الموجات العربية » لأن طابع العروبة الصريحة على جزيرة العرب هو الطابع الذي عرف وامتد معروفاً قائماً .

(٢) إن هذا مستند الى اعتبار اللغة القرآنية هي التي كانت اللغة السائدة والمفهومة في اوساط العرب بوجه عام قبل نزول القرآن بمدة ما فيها القرآن لساناً عربياً ميبناً . اقرأ كتابنا عصر النبي وبعثه قبل المئة .

من خليج البصرة شرقاً الى ساحل الاطلانطي غرباً .

ولم يكن من شأن ما طرأ على هذا الوطن وخاصة على مهاجر العرب من احداث وغزوات غير عربية الجنس مها كان شأنها من القوة وطول الأمد ان تغير من معالم هذا الطابع الخالد وخطوطه الاساسية .

ولعل من الأدلة على طبيعية هذا الطابع وقوته ، وعلى طبيعية عروبة مهاجر العرب اعني غير جزيرة العرب من مواطن العرب الحاضرة او بمعنى آخر على وحدة الدم والخصائص والروح في سكان جزيرة العرب ومواطن الهجرة العربية الطبيعية ، ان اليونان والرومان الذين استعمروا بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا ، وان الفرس الذين استعمروا بلاد العراق امداً طويلاً جداً بعد دولها العربية الجنس او بحسب التسمية التحكيمية السامية - لم يستطيعوا ان يطبعوا هذه الأقطار بطابع خالد يمكن ان يغطي على الطابع العربي الأصلي او يستأصله ، وان الموجة الاسلامية العربية لم تلبث ان مسحت ما كان من غشاء غير عربي الجنس على الطابع الأصلي رغم بقائهم قرابة الف عام (٣٦٠ ق م - ٦٣٠ ب م) ورغم شمول المسيحية اهل البلاد ومستعمرها قبل الفتح الاسلامي مدة طويلة ، وان طبعت هذه المهاجر بالطابع العربي الصريح ، ولم يلبث السابقون ان اندمجوا وامتزجوا باللاحقين اندماجاً وامتزاجاً تامين روحاً ودماً ومظهرآ ؛ في حين ان هذه الموجة التي اكتسحت ايضاً بلاداً غير عربية الأصل والدم كبلاد فارس والافغان والأتراك والهند والقفقاس والحزر وارمينية وبعض انحاء الصين وبعض سواحل واقطار وجزر اوروبا لم تستطع ان تطبعها طبعاً خالداً إلا بطابعها الديني ، ولم يلبث طابعها القومي واللغوي ان توارى عنها .

وهذا كان شأن تلك المواطن او المهاجر العربية مع الترك الذين اكتسحوها اكتساحاً واسماً تسلطاً وهجرة منذ القرن الهجري الثالث ، ودام هذا الاكتساح قرابة الف عام ، فانهم لم يستطيعوا ان يغيروا معالم الطابع العربي فيها مع ما كان من انهدام كيان العرب السياسي ، وخمود حرارة الشعور القومي العربي خموداً يكاد يكون تاماً ، مما ينهض كذلك دليلاً قوياً على طبيعية الطابع العربي واصالته فيها . هذا الى ارتكاز القضية العربية الى وحدة تاريخية ووحدة روحية وثقافية وتشريعية اشتملت الوطن العربي الكبير منذ اكثر من الف عام دون انقطاع حقيقي ، بحيث

ظل سكانه يعيشون في جو تاريخي وروحي وتشريعي واجتماعي ولغوي واحد تقريباً، ولم يكن من شأن ما كان يقوم من مظاهر وسلطات ومنازعات ونزعات متباينة، وغزوات خارجية أحياناً أن يخلق تبايناً حقيقياً في ذلك الجو بوجه الاجمال .

وكل هذه خصائص ومميزات في قوة عناصر القضية العربية القومية لا مثيل لها في مجموعها وفي مفرداتها في القضايا القومية الاخرى أو اكثرها كما قلنا ، ولا سيما من ناحية الاستمرار والامتداد خلال الاحقاب الطويلة . فوحدة اللغة التامة في كثير من القضايا القومية لا ترتفع الى اكثر من بضعة قرون بحيث تكاد تكون لغة ما قبل هذه المدة غريبة على أنسال اليوم وسوادهم ، ومقطوعة الصلة بين غايرها وحاضرها، ووحدة الوطن والميول والتاريخ والدم والمصالح في كثير منها لا ترتفع كذلك الى اكثر من بضعة قرون ايضاً بحيث كان الطابع والميول والتاريخ والمصالح متباينة تبايناً كبيراً ...

- ٣ -

أسدراكات ونعليات وردود في سرد عناصر القضية

ومن العجيب ان يكابر بعض الغربيين أو بتعبير أدق الاستعماريون الغربيون في هذه الحقيقة رغم وضوحها ومثانة بنيانها ، وان يزعموا ويبشوا دعاياتهم المباشرة وغير المباشرة بأن سكان المهاجر العربية ونعني بلاد الشام والعراق ومصر والمغرب هم خليط من شعوب واجناس ونحل مختلفة وانه ليس هناك وحدة تجمعهم يصح ان تنعت بالوحدة القومية ، مشيرين بذلك الى الفينيقيين والكنعانيين والاشوريين والاثيوبيين والبربر الذين كانوا يقطنون هذه البلاد في القديم ، والى ما طرأ عليها بعد الاسلام من طرء مختلفي الاجناس شرقيين وغربيين مقررين ان سكانها انما هم من انسال هؤلاء واولئك في الدرجة الاولى ، ومشيرين بذلك ايضاً الى ما يوجد في هذه البلاد اليوم من كتل مختلفة في الجنسيات والاديان والمذاهب ، وان يؤخذ بعض العرب بهذه المزاعم والدعايات الزائفة بما كان من مظاهره دعاوى الفينيقية والفرعونية والبربرية والاشورية التي اثيرت في لبنان ومصر والشام والعراق من

قبل المأجورين والمخدوعين ، كأن الوحدة اللغوية والتاريخية والروحية والاجتماعية التي تشمل الآن سبعة وتسعين في المئة على الأقل من سكان الوطن العربي الكبير والتي تمتد في القدم الى اكثر من الف عام لا تكفي بصرف النظر عن أي شيء آخر لصفة الوحدة القومية مع أن نصف هذه المدة أو ثلثها كفي في نظر هؤلاء المكابرين والمأجورين والمخدوعين والمستعمرين لصفة مثل هذه الصفة في البلاد الاجنبية وخاصة في اوروبا واميركا .

ولقد تجاهل هؤلاء ما قرناه من ان سكان هذه البلاد القدماء ليسوا إلا موجات عربية ، وان الزيف في دعواهم ظاهر وانها لا تؤدي الا الى عكس المقصود حينما تتسلط عليها اشعة الحقيقة - وهذا ما حصل وأخذ يحصل ويقوى - حيث يبدو أنها تخدم تقريرو حقيقة عرافة العروبة وطابعها اكثر مما تحاربها وتنقضها .

كذلك تجاهلوا أن اختلاف المذاهب الدينية ليس من شأنه أن يكون ذا اثر في الصفة القومية في الحقيقة ، وان هذا ليس خاصا بالبلاد العربية وسكانها .

أما الطرآء الشرقيون والغربيون الذين طرأوا على البلاد العربية بعد الاسلام قديماً وحديثاً فان القديمين منهم قد امتزجوا بالدم العربي والبيئة العربية وانطبعوا بالطابع العربي ، ومرت عليهم احقاب طويلة ، وليس لهم لغة غير اللغة العربية ، ووطن غير الوطن العربي . وقد وحدث أحداث التاريخ واحقاب الزمن بينهم وبين العرب الاصليين ممن جاؤا بالموجة الاسلامية الكبرى أو قبلها أو بعدها . فمن الطبيعي جداً ان يصبحوا عرباً تاريخياً وقومياً ، وإن لم يكونوا عرباً اصلاً ودماً . وهذه الظاهرة قائمة في جميع البيئات القومية الاخرى . بل ان اكثر هذه البيئات انما يقوم عليها من جهة ، واعلمها في القومية العربية اقوى منها في غيرها أو من اكثر هذا الغير بسبب امتداد الزمن من جهة أخرى .

والحديثون الذين لا يحتفظون بطابع او لغة اعجمية خاصة ، وليس لهم غسير العربية لغة ، وليس لهم صلة ما بموطن أو دولة غير الموطن العربي والدولة العربية يجري عليهم القول نفسه بطبيعة الحال .

اما الحديثون الذين لا يزالون يحتفظون بطابعهم ولغتهم الأعجمية الخاصة فهؤلاء اقسام : منهم الذين لا يزالون متصلين بموطنهم ودولتهم فيه ، فهؤلاء يعتبرون نزلاء

ومثلهم موجود في كل مكان وليس من شأن وجودهم ان يناقض النظرية القومية بوجه عام ، عدا كونهم لا يكادون يتجاوزون واحداً في المئة من مجموع العرب في سائر انحاء الوطن العربي الكبير . ومنهم من انقطعت صلته بموطنه ودولته الأصلية او لم يعد له موطن او دولة . ومن اهمهم كتلة الاكراد في الانحاء الشمالية من العراق والشام الذين انفصلت بلادهم عن بلاد الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى ، واصبحت جزءاً من اجزاء العراق او سورية في تكوينها الحديث ؛ وهم متحدون مع الأكتوية العربية الساحقة في الدين الاسلامي ، وقد ارتبطت مقدراتهم بالامة العربية ارتباطاً وثيقاً منذ الاماد الطويلة فأصبحوا والعرب بمثابة واحدة . وهم في القطرين لا يزيد عددهم على ستمئة الف من نحو تسعة ملايين . ومنهم الشراكسة في بلاد الشام ، وهؤلاء قلة ضئيلة طارئة من جهة وهم بسبيل الانسباك في القالب العربي . وعددهم لا يكاد يبلغ الثلاثين الفاً في سورية وشرق الاردن . ومنهم الأرمن في بلاد الشام - سورية ولبنان - وهم منبتون في انحاءها المختلفة وقد أخذوا يمتزجون بالعرب ويستعربون تدريجياً ؛ والى هذا فعددهم لا يتجاوز مئة وخمسين الفاً من نحو خمسة ملايين ونصف .

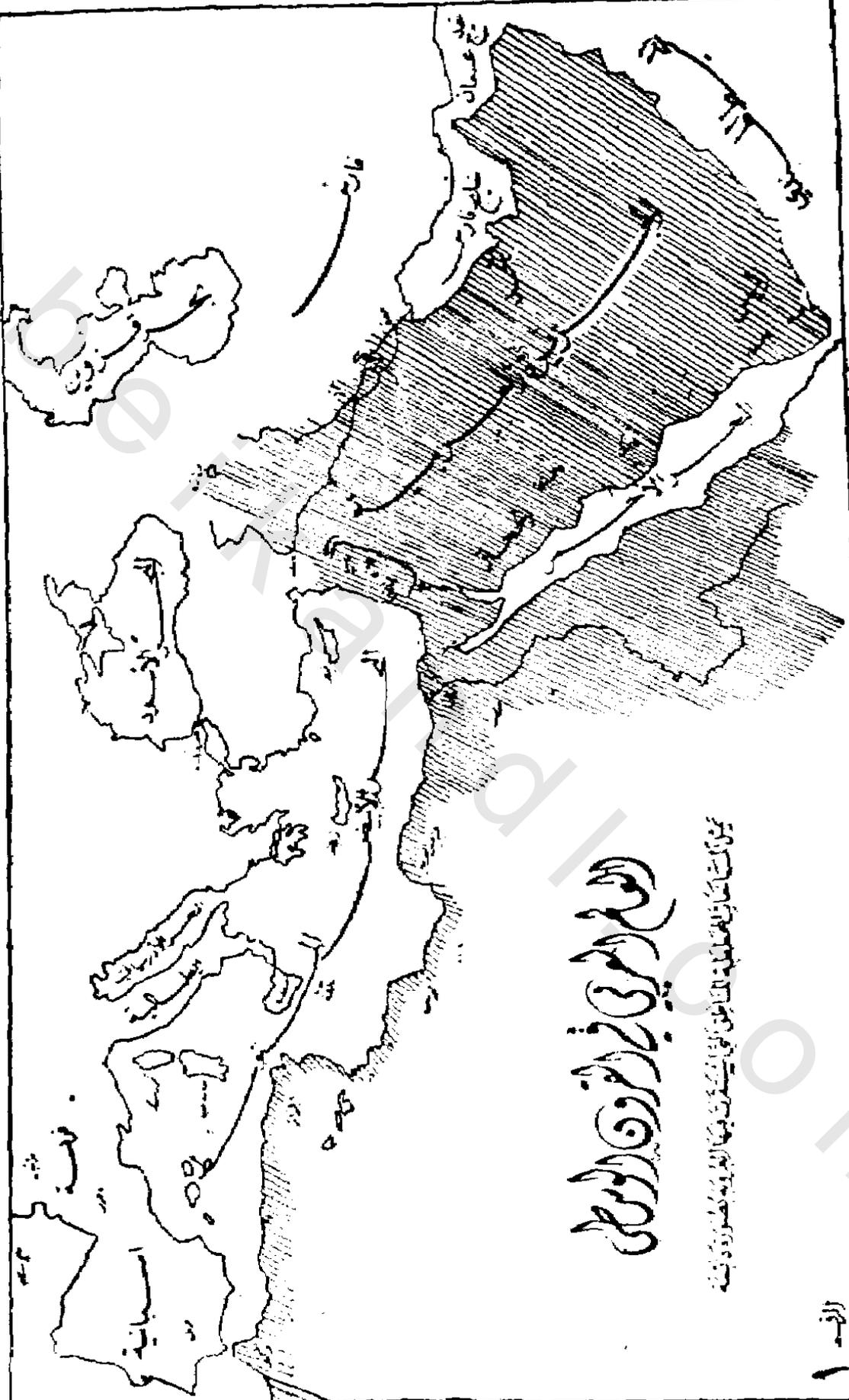
ولم نشأ ان نذكر القبائل البربرية في المغرب لأنهم فضلاً عن ما هناك من نظريات علمية مستندة الى علم اللغات والخصائص الجنسية البشرية ترجع أنهم يمتون في أصلهم الى جزيرة العرب وأنهم إحدى موجاتها في عصور التاريخ القديم كالأثيوبيين والقبطيين والأشوريين والكنعانيين والبابليين والفينيقيين والآراميين فهم مسلمون منذ اكثر من الف عام ، وامتزجون بالعرب والقبائل العربية منذ القرون الطويلة ، وقد استعرب كثير منهم واندجوا في العروبة المغربية الاسلامية ، وإن كانوا حافظوا على بعض لهجاتهم كما هو شأن غيرهم من العرب في مختلف الانحاء ؛ بحيث يمكن ان يعدوا والعرب بمثابة واحدة .

بقي اليهود في فلسطين ، وهم طراء واكثرتهم الساحقة اوروبيون آريون أصلاً ودمياً وثقافة . ومهما وصلوا اليه من عدد ومظهر سيامي وقومي خاص فانه ليس من شأنه ان يغير طبيعة الطابع العربي بفلسطين ذاتها والتي ما يزال اكثرها عربياً فضلاً عن انه ليس من شأنه ان يخل بقضية عروبة الوطن العربي الكبير الذي

العلم العربي في القرنين العاشر والحادي عشر

تأليف الدكتور محمد عبد الحليم عبد الله

الطبعة الأولى ١٩٥٠



ليس عددهم والجزء التصغير الذي تكثفوا فيه في فلسطين تكثفاً اصطناعياً فاق عدد الانساق والانسجام إلا شيئاً ضئيلاً بالنسبة لمساحة وسكان هذا الوطن ، كما أن تنبه العرب لخطرهم واخلاقهم ومطامعهم سيحكون باعثاً لهم وهم محدقون بهم من كل ناحية على الاستمرار في النضال معهم وتضيق الحناق عليهم الى ان يقضوا على ذلك المظهر الغريب ويعيدوا للجزء الذي تكثفوا فيه صبغته العربية إن شاء الله . وفي الشواهد التاريخية ما يجعل هذا الأمل حقيقةً بالتحقق عاجلاً أو آجلاً .

- ٤ -

استطراد الى اليهود واليهودية

ونقول استطراداً إن بما استغله اليهود في دعائهم ودساتيمهم «الأصل السامي» ، فقالوا إننا ساميون منشؤنا جزيرة العرب ، خرجنا في احدى موجاتها واستقرنا في فلسطين ، وتميزت فيها شخصيتنا وصار لنا فيها أجداد واصبحت وطننا ، وظللنا مرتبطين بها ردهاً ، فنحن غير طارئين وإنما عائدون ، والعرب أبناء عمنا ، ونحن وهم من ارومة واحدة ودم واحد ، وشركاء في وطن واحد . وقد اخذ البعض بهذا القول ، ووجدوا أو بالأحرى وهووا أنه يوجد في قضية اليهود مشكلة علمية او تاريخية او قومية في مجال النظرية القومية العربية وشموها اولاً ، وفي مجال ما إذا كان يصح علمياً للعرب أن ينكروا هذه القرابة ويتنكروا لها ثانياً ، وما إذا كان لهم من الوجهة القومية الجنسية ان يعترفوا او لا يعترفوا بالأجداد العبرية كما يعترفون بالأجداد البابلية والآشورية والفينيقية والآرامية والسبئية ثالثاً . بل وان من العرب من اخذ بهذا القول ولم ير بأساً من ذكر العمومة بين العرب واليهود تحت وهمه . اما نحن فلسنا نرى هذا مشكلة من أي جهة ، ولست نرى من ناحية اخرى في دعوى اليهود الحديثين هذه إلا زيفاً . فإذا كان العبرانيون من احدى موجات جزيرة العرب أو حسب تعبيرنا يمتون إلى الجنس العربي الأصلي فقد كان كذلك الذين قبلهم في فلسطين وهم الكنعانيون ، كما كان كذلك الذين كانوا يسكنون غير فلسطين من المهاجر العربية الاخرى . ولقد اكتسحت المسيحية كثيراً من العبرانيين وغير العبرانيين من بقايا الموجات الأولى

في فلسطين والمهاجر العربية الاخرى فاعتنقوها ، ثم اخذ المستقرون من هذه الموجات يندمجون في الموجات العربية الصريحة قبل الدعوة الاسلامية وبمناسبتها؛ وقد طبعت هذه الموجات الوطن العربي بالطابع العربي الصريح الخالد ؛ ولم يبق عبرانيون في ناحية من انحاء هذا الوطن محتفظون بلون خاص ولغة خاصة منذ الأحقاب الطويلة حتى يمكن ان يكون في وجودهم مشكلة ما تقف في سبيل صحة شمول النظرية القومية العربية الصريحة للوطن العربي ، او في سبيل قيام شيء اسمه عبراني سامي إزاء ما يسمى بياً سامياً . والطائفة السامرية التي تزعم ذلك والمتوطنة في نابلس ليست من عبراني فلسطين وانما هي من آشوري العراق على ما يرجعه ثقات المؤرخين؛ على انها مستعربة منذ الآماد الطويلة وكل امرها أنها محتفظة بديانتها التوراتية ؛ وعددها اليوم لا يزيد على المئتين عدداً . وإذا كان التاريخ يقيد أن بعض شراذم اليهود العبرانيين قد جلوا عن فلسطين فان هذه الحادثة ترجع الى نحو الفتي عام ؛ ولا يعقل ان يكون الجالون كتلاً كبيرة ، والمرجح انهم لم يكونوا ليزيد مجموعهم عن بضع عشرات من الالوف . وقد نشئتوا في انحاء الأرض منذ ذلك التاريخ البعيد ، واختلطت دماؤهم بدماء الامم الكثيرة المختلفة التي عاشوا بينها ، فلم يبقوا أوائك اليهود الجالون إلا بالاسم والدعوى؛ هذا إلى كون التسمية اليهودية اعم من التسمية العبرانية . وليس مما يمكن التسليم به علمياً ان اليهود الجالين هم من كان من دم عبراني او على الأقل من دم عبراني فقط فضلاً عن أنه من الثابت علمياً وتاريخياً ان كتلاً كبيرة برمتها من اصل آري في آسيا واروربا اتخذت اليهودية ديناً بحيث يصح ان يقال ان اكثر اليهود هم من أنسال هذه الكتل ، وإن الدم العبراني الذي كان في الجالين الأولين قد اندثر او كاد ، وان قصارى ما في الأمر ان الدين هو الطابع المخصص للكتل التي تعتق اليهودية والتي تمت بدماؤها واصولها الى مختلف الجنسيات ، شأنها في ذلك شأن الأديان الكبرى العامة التي يجتمع تحت لوائها كتل مختلفة الاصول والجنسيات ؛ وليس من شأن ذلك وحده ، ولم يكن من شأنه في وقت ما ان يسبغ على هؤلاء صفة قومية مميزة .

وبقاء اليهود في كل مكان وجدوا فيه كتلا منطوية على نفسها في مساكنها ومعايشها واخلاقها وعاداتها وازيائها ، ومعرضة للأحقاد والاضطهاد والاحتقار ليس من شأنه ان يعضد دعوى الدم العبراني الخاص فيهم او دعوى اصلهم السامي ؛ وانما

هو متصل بوجودهم بين الكثرة الدينية الاخرى التي يقوم العداء الطبيعي الديني والاجتماعي بينها وبينهم، ونتيجة من نتائجها، ومظهر من مظاهر حياة الاقلية الدينية والمذهبية وسط الكثرة الدينية الاخرى في القرون الوسطى، وما تفرضه هذه الحياة .

فليس من باحث عاقل ومنصف يبيح لنفسه ان يرى والامر كذلك ما يمكن الاستناد اليه بشيء من القوة في تقرير السامية الاصلية لليهود منذ القرون الوسطى الى اليوم حيث يعدون خمسة عشر مليوناً اولاً، وفي تقرير القرابة بينهم وبين العرب ثانياً، وفي صحة دعوى الحق المزعوم بالعودة الى الوطن .

وإذا كنا نرى تميزاً ظاهراً في الشخصيات القومية، وتناحراً شديداً بسبب اختلاف المصالح الناشئة عن هذا التميز بينا قرابة هذه الشخصيات الدموية اقرب عهداً مما يدعى من قرابة بين العرب واليهود بما تنفق فيه النسبة فيكون من الزيف تناسي هذا التميز الظاهر اليوم بين الشخصية العربية والشخصية اليهودية بطبيعة الحال .

وبقطع النظر عن كل هذا فان حق عودة امة ما الى بلد ما لانها سكنت فيه زمناً ما وخاصة زمناً يعود الى ما قبل الف عام ثم ينقطع ما بينها وبينه من جهة، وهي طارئة عليه من جهة، ولم تعش في مكان ما عيشة قومية من جهة، ولا يجمع بينها الا الطابع الديني من جهة، ودخل فيها عناصر ودماء غريبة كثيرة في مدى الاحقاب الطويلة حتى اندثر دماء القلة الاولى التي حملت دماءها القومية اراكاد من جهة، وقام في ذلك البلد امة ثانية صار لها فيه اجداد وتاريخ مديد من جهة، من السخف بحيث لا يستحق النظر العلمي، ومن شأنه ان يقلب اوضاع العالم بصورة مستمرة .

فالوصف الصحيح لليهود اليوم بالنسبة الى فلسطين والعرب هو انهم طراء غربيون متميزون عن الجنس العربي في اللغة والدم والثقافة والعادات، ودعواهم لا ترتكز الى منطق صحيح في اي نقطة من نقاطها . والوصف الصحيح للقضية اليهودية هو ان بعض سياسيي اليهود ومنتوريهم تأثروا . ربح اضطهاد اليهود المديد الذي اشترك فيه جميع امم الأرض التي حل بينها اليهود، والذي كان الباعث الحقيقي له

جيلة اليهود وعزلتهم وعدم اندماجهم في الامم التي حلوا فيها وعدم اخلاصهم لها ، ومحاولتهم استغلالها دون اي مقابل ، وتأثروا كذلك بالفكرة القومية التي اجتاحت اوروبا ، واتخذوا ما لفلسطين في التاريخ اليهودي القديم من ذكريات دينية وسياسية وسيلة للدعاية والدعوة الى فكرتهم . والوصف الصحيح لليهودية هي انها نخلة دينية يجتمع فيها مختلف الاجناس ، وليست صفة شعبية او قومية مطلقاً .

اما اعتزاز العربي بالاجداد العبرانية القديمة - ويدخل فيها اجداد موسى وداود وسليمان وعيسى وغيرهم من انبياء بني اسرائيل وماو كهم وعظماهم - فلا نرى بناء على ما قدمنا تناقضاً بينه وبين إنكار جنسية اليهود اليوم ، واعتبارها منقطعة الصلة بالأصل والدم العبراني او بالأصل والدم العربي القديم . فمن حقه ان يعترف بصاحبي اليهودية والنصرانية وتوراتهما وانجيلهما كل الاعتراز، ومن حقه ان يعترف باجداد داود وسليمان الدنيوية والسياسية والعمرانية ، وبما اتى به انبياء العبرانيين من حكم وغذاء روحي على اعتبار ان هؤلاء متصلون بأرومة واحدة مع العرب وتابعون من منبع واحد . والمسلمون العرب الذين هم اكثرية العرب الساحقة مدعوون الى هذا دينياً في الوقت نفسه . وسأن العربي في هذا شأنه من الاعتراز بالاجداد الفينيقية والبابلية والاشورية والآرامية والكنعانية والاثيوبية والمصرية والسبئية والمعينية والحيرية والبربرية التي يتصل اصحابها بالعرب في ارومة واحدة ، وينبعون وإياهم من نبع واحد .

- ٥ -

ومن هذا الايجاز يظهر ان مواطن العرب خارج الجزيرة العربية هي مهاجر العرب من الجزيرة ، وان الموجة العربية الاسلامية الكبرى انما هي احدى موجات الجزيرة جاءت بدين جديد وطابع عربي صريح فلم يلبث اهل هذه المواطن ان اندمجوا فيها اندماجاً حاسماً وطبيعياً بسبب وحدة الدم والخصائص ، وان الطراء القديمين والحديثين المستعربين هم في حكم العرب في العرف الاجتماعي الحاضر ، وان المسلمين الذين لم يستعربوا منهم تماماً مندمجون في العرب بوحدة الدين وهم في مثابتهم فضلا عن انهم لا يكادون يبلغون الاثنين في المئة ، وان غير المسلمين المستقرين الذين

لم يتعربوا منهم ليسوا نسبة تذكر ، وان غير المستقرين منهم لا يزيدون عن الاثني عشر في المئة ، وانه ليس من شأن هذا أن ينقض شمول النظرية العربية القومية لجميع انحاء الوطن العربي الكبير .

شمول نظرية القومية العربية الحديثة

وننبه على أننا مع ما قلناه لا نبنى نظريتنا في القضية القومية العربية على اساس وحدة الدم والجنس والدين فقط ، وإنما نبنينا ايضاً على الاساس القومي المفهوم والمعتبر الآن بصورة عامة وهو وحدة الموطن واللغة والمصلحة والعادات . وإذا كنا اشرنا الى منبت العروبة الجنسية ومهاجرها القديمة او الى قدم التاريخ الذي انسبك في طبائه سكان مواطن العرب في قالب واحد ، او الى شمول الدين الاسلامي لأكثرية هؤلاء السكان فاننا فعلنا هذا بسبيل التدليل على قوة عناصر القضية العربية ومميزاتها .

وظاهر ان هذا الاساس اوسع شمولاً وأرحب صدرأ من نظرية الدم والجنس والدين . لانه يعتبر به عربياً قومياً كل متكلم باللغة العربية وليس له لغة أم غيرها ، ومستقر بالوطن العربي ، ومندمج في بيئته وعاداته وتقاليده ومصالحه ، مع سائر المستقرين فيه والمندمجين في بيئته وعاداته وتقاليده ومصالحه ، وليس له صلة وهوى ببلاد وقومية اخرى مها اختلفت الاصول والاديان والمذاهب .